University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد السابع والأربعون / أبريل / 2020

السخرية والتهكم في الأدب العربي الحديث (لافتات من شعر أحمد مطر – أنموذجا –)

د. بلقاسم بن عودة / أستاذ محاضر / جامعة عبد الرحمن ابن خلدون تيارت / الجزائر /

University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد السابع والأربعون / أبريل / 2020

السخرية والتهكم في الأدب العربي الحديث (لافتات من شعر أحمد مطر – أنموذجا –)

ملخص :

تعتبر السخرية من المواضيع القديمة التي جعل منها الأدباء والشعراء غرضا للوصول للمتلقي أيا كان نوعه ، لا سيما إذا أراد من خلالها استنهاض الهمم لرفع الظلم عن الأمم التي سلط عليها الظلم ، وهي موضوع أيضا من مواضيع القرآن الكريم تحرك نفوس الطغاة وتكبحهم عن ظلمهم بمراجعة أنفسهم ، وفي العصر الحديث أصبحت السخرية موضوعا بارزا لكثرة انتشار الظلم والطغيان وبخاصة في الشعر الحديث وعلى هذا الأساس أردنا من خلال هذا البحث كشف الستار على جانب من هذا الموضوع لتبيانه ، وقد طرحنا الاشكالية التالية :

كيف تناول أدباء العصر موضوع السخرية ؟ وما الأغراض التي استعملت فيها السخرية ؟

وتندرج تحت طائلة هذه الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية مثل مفهوم السخرية، وغرضها ، وأنواعها، وعلاقة السخرية بالمجتمع، وقد قدمنا الشاعر **أحمد مطر** أنموذجا لذلك متبعين المنهجية التحليلية بالإحصاء والمقارنة في النموذج الذي اخترناه.

الكلمات المفتاحية : السخرية – التهكم – الأدب الساخر – الفكاهة – الصورة الفنية – الظلم – الفساد.

Abstract

This is also one of the themes of the Holy Quran that moved the souls of tyranny and restrained them from their injustice by reviewing themselves. It is also a matter of the Qur'an, In modern times, irony has become a prominent theme of the spread of injustice and tyranny, especially in modern poetry, and on this basis we wanted through this research to unveil a part of this subject to illustrate it, and we have raised the following problematic:

How did the writers of the era deal with ridicule? What are the purposes for which ridicule was used?

The problem of this irony is presented by a number of secondary questions such as the concept of ridicule, its purpose, types, and relationship of ridicule in society. We have presented the poet Ahmed Matar as a model for this method followed by statistical analysis and comparison in the model we chose.

Keywords: ridicule - sarcastic - cynical literature - humor - artistic image - injustice - corruption.

مقدمة:

إن موضوع السخرية هي من أهم المواضيع المثيرة في حياتنا اليومية، التي يتندر فيها الناس ببعضهم ببعض لأسباب وربما بغر سبب في بعض الأحيان والتي قد ينجر من ورائها الكثير من الانفعالات الإيجابية أحيانا والسلبية أحيانا أخرى، وقد تتعدى بسببها نشوء العداوات.

ومجالات السخرية جد واسعة في شتى مناحي حياتنا اليومية ولا تقتصر على مجال دون الآخر ، فهي في الأدب والفن والرسم والغناء والخطابات العادية والحركات بمختلف أنواعها ... إلا ان هذا الموضوع اكتسح في الأدب مجالا واسعا لأغراض متعددة قد يكون بعضها محاولة تغيير المجتمع حاكما ومحكوما ، ولعل هذا من بين أبرز الأسباب التي دعتنا لاختيار موضوع السخرية في الأب .

وقد شد انتباهنا أنّ الشاعر العراقي أحمد مطر قد أظهر في شعرية موضوع السخرية بشكل بارز فتعتبر معظم أشعاره تحوي هذا الفن لا سيما السخرية من الحاكم التي وردت في الكثير من لافتاته وذلك راجع للظلم والاستبداد الذي يحس به وهذا أيضا سبب من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع .

ولدراسة هذا الموضوع لزم علينا الوقوف على إشكالية مهمة وهي : ماهي السخرية وكيف اختارها الأدباء موضوعا في أعمالهم الأدبية ؟ وما هي الخلفيات الرئيسة التي تنبعث من ورائها السخرية في الأدب ؟ وكيف استعمل أحمد مطر السخرية في شعره ضد الحاكم بصفة عامة وخاصة ؟

اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي لدراسة هذا الموضوع ، والمنهج الوصفي لصياغة تعاريف السخرية وماهيتها وخصائصها معرجين على الغاية منها وأنواعها من سخرية انتقادية وعقلية وفكاهية ثم علاقة السخرية بالمجتمع والفرد وحول تاريخ فن السخرية ، ثم التزمنا بالمنهج التحليلي وذلك كي نقوم بتحليل لافتات أحمد مطر لمختلف مستوياتها (اللغوي والمعجمي والصوتي والاحصائي .....) وهذا منهج بحثنا في ذلك ونوع الدراسة وهيكلة بحثنا

السخرية: ماهيتها وخصائصها.

المعنى اللغوي السخرية:

ورد في لسان العرب للعلامة ابن منظور في مادة « سخر»:

« سَخِرَ منه وبه سَخْراً وسَخَراً ومَسْخَراً وسُخْراً، بالضم، وسُخْرَةً وسِخْرِيّاً وسُخْرِيّاً وسُخْرِيَّة: هزئ به؛ ويروى بيت أَعشى باهلة على وجهين: **إِني أَتَتْنِي لِسانٌ، لا أُسَرُّ بها مِنْ عَلْوَ، لا عَجَبٌ منها ولا سُخْرُ** ويروى: ولا سَخَرُ، قال ذلك لما بلغه خبر

مقتل أخيه المنتشر، والتأْنيث للكلمة. قال الأَزهري: وقد يكون نعتاً كقولهم: هُم لك سُخْرِيٌّ وسُخْرِيَّةٌ، من ذكَّر قال سُخْرِيّاً، ومن أَنث قال سُخْرِيَّةً. الفراء: يقال سَخِرْتُ منه، ولا يقال سَخِرْتُ به. قال الله تعالى: لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ. وسَخِرْتُ من فلان هي اللغة الفصيحةُ»[1].

وقال تعالى: ﴿ **فيَسْخَرُونَ منهم سَخِرَ اللهُ منهم**﴾[2]، وقال: ﴿ **إن تَسْخَرُوا مِنَّا فإِنَّا نَسْخَرُ منكم**﴾ [3]؛ وقال الراعي:

تَغَيَّرَ قَوْمِي ولا أَسْخَرُ وما حُمَّ مِنْ قَدَرٍ يُقْدَرُ قوله أَسخَرُ

أَي لا أَسخَرُ منهم [4]

« وقال بعضهم: لو سَخِرْتُ من راضع لخشيت أَن يجوز بي فعله. الجوهري: حكى أَبو زيد سَخِرْتُ به، وهو أَرْدَأُ اللغتين. وقال الأَخفش: سَخِرْتُ منه وسَخِرْتُ به، وضَحِكْتُ منه وضحكت به، وهَزِئْتُ منه وهَزِئْتُ به؛ كلٌّ يقال، والاسم السُّخْرِيَّةُ والسُّخْرِيُّ و السَّخْرِيُّ، وقرئ بهما قوله تعالى: لِيَتَّخِذَ بعضُهم بعضاً سُخْرِيّاً. وفي الحديث: أَتسخَرُ مني وأَنا المِلك « قوله: مني وأنا الملك» كذا بالأَصل. وفي النهاية: بي وأنت.؟ أَي أَتَسْتَهْزِئُ بي، وإِطلاق ظاهره على الله لا يجوز، وإِنما هو مجاز بمعنى: أَتَضَعُني فيما لا أَراه من حقي؟ فكأَنها صورة السخْرِيَّة.

وقوله تعالى:﴿ **وإِذا رأَوا آية يَسْتَسْخِرُونَ** ﴾[5]؛ قال ابن الرُّمَّانِي: معناه يدعو بعضُهم بعضاً إِلى أَن يَسْخَرَ، كَيَسْخَرُون، كعلا قِرْنَه واستعلاه. وقوله تعالى: يَسْتَسْخِرُون؛ أَي يَسْخَرون ويستهزئون، كما تقول: عَجِبَ وتَعَجَّبَ واسْتَعْجَبَ بمعنى واحد.» [6]

والسُّخْرَةُ الضُّحْكَةُ. ورجل سُخَرَةٌ: يَسْخَرُ بالناس، وفي التهذيب: يسخَرُ من الناس. وسُخْرَةٌ يُسْخَرُ منه، وكذلك سُخْرِيّ وسُخْرِيَّة؛ من ذكَّره كسر السين، ومن أَنثه ضمها، وقرئ بهما قوله تعالى: ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً. والسُّخْرَةُ ما تسَخَّرْتَ من دابَّة أَو خادم بلا أَجر ولا ثمن. ويقال: سَخَرْتُه بمعنى سَخَّرْتُه أَي قَهَرْتُه وذللته. قال الله تعالى: وسخر لكم الشمس والقمر؛ أَي

---

[1]– حمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي [المتوفى: 711هـ]: لسان العرب، دار صادر – بيروت ط1:[1414 هـ] ص: 16 – 17 – 18

[2] – الأنفال: 79

[3] – هود: 38

[4] – ينظر: ابن منظور : لسان العرب، ص:17

[5] – الصافات: 14.

[6] – المرجع السابق: ص: 17

ذللهما، والشمسُ والقمرُ مُسَخَّران يجريان مجاريهما أي سُخِّرا جاريين عليهما. [7] والنجومُ مُسخَّرات، قال الأَزهري: جارياتٌ مجاريَهُنَّ. وسَخَّرَهُ تسخيراً: كلفه عملاً بلا أُجرة، وكذلك تَسَخَّرَه. وسخَّره يُسَخِّرُه سِخْرِيّاً وسُخْرِيّاً وسَخَرَه: كلفه ما لا يريد وقهره. وكل مقهور مُدَبَّرٍ لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر، فذلك مسخَّر.

وقوله عز وجل:﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ [8]؛ قال الزجاج: تسخير ما في السموات تسخير الشمس والقمر والنجوم للآدميين، وهو الانتفاعُ بها في بلوغِ مَنابِتِهم والاقتداءُ بها في مسالكهم، وتسخيرُ ما في الأَرض تسخيرُ بحارِها وأَنهارها ودوابِّها وجميعِ منافِعِها؛ وهو سُخْرَةٌ لي وسُخْرِيٌّ و سِخْرِيٌّ، وقيل: السُّخريُّ، بالضم، من التسخير والسِّخريّ، بالكسر، من الهُزْء [9].

وقد يقال في الهزء: سُخري وسِخري، وأَما من السُّخْرَة فواحده مضموم. وقوله تعالى: فاتخذتموهم سُخْرِيّاً حتى أَنسوكم ذكري، فهو سُخريّاً وسِخريّاً، والضم أَجود. أَبو زيد: سِخْرِيّاً من سَخِر إِذا استهزأَ، والذي في الزخرف: ليتخذ بعضهم بعضاً سُخْرِيّاً، عبيداً وإِماء وأُجراء [10].

وقال: خادمٌ سُخْرة، ورجلٌ سُخْرة أَيضاً: يُسْخَر منه، وسُخَرَةٌ، بفتح الخاء، يسخر من الناس. وتسخَّرت دابة لفلان أَي ركبتها بغير أَجر؛ وأَنشد: سَواخِرٌ في سَواءِ اليَمِّ تَخْتَفِزُ ويقال: سَخَرْتُه بمعنى سَخَّرْتُه أَي قهرته. ورجل سُخْرَة: يُسَخَّرُ في الأَعمال و يَتَسَخَّرُه من قَهَره. وسَخَرَتِ السفينةُ: أَطاعت وجرت وطاب لها السيرُ، والله سخَّرها تسخِيراً. والتسخيرُ: التذليلُ. وسفُنٌ سواخِرُ إِذا أَطاعت وطاب لها الريح. وكل ما ذل وانقاد أَو تهيأَ لك على ما تريد، فقد سُخِّرَ لك. والسُّخَّرُ السَيْكَرانُ؛ عن أَبي حنيفة. [11]

وما يلاحظ أن معظم المعاجم تفسر السخرية على أنها الطعن والدعابة والهزل بالشيء والاستهزاء، والضحك على الشخص، والهمز، واللمز والتنابز، وذكر عيوب للأشخاص بأسلوب ساخر، وغيرها من المصطلحات التي تدل على المعاني المتقاربة.... السخرية الاستهانة والتحقير، والتنبيه على العيوب والنقائص، على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالتشبه والمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء.

---

[7] – ابن منظور : لسان العرب، ص:17-18 .

[8] – لقمان 20

[9] – ابن منظور : لسان العرب، ص: 18

[10] – المصدر السابق : ن ص

[11] – ابن منظور : لسان العرب، ص: 18

السخرية في مفهوم الأدباء:

يرى الأدباء أن السخرية طريق خاص للتعبير عن المفاهيم الاجتماعية، والانتقادية، والسياسية اللاذعة وبعبارة أخري تعتبر السخرية طريقا للكشف عن الحقائق المرّة الناتجة عن فساد الفرد أو المجتمع في هالة من الاستهزاء والسخرية، لاقتلاع جذور الفساد، والحقائق التي لا يجوز للإنسان أو يتعذر عليه أن يتطرق إليها بشكل مباشر وجادّ. وبعبارة أبسط، يمكن أن نعرّف السخرية بالانتقاد الممتزج بالاستهزاء، كما يمكن اعتبارها نوعا خاصا من الأنواع الأدبية بحيث يتم التعبير عنه بالتعريض وبشكل غير مباشر [12]

والسخرية: « بيان للرذائل الخلقية والخلقية للفرد أو المجتمع بأسلوب ساخر، وبإشارة القرائن البعيدة أو القريبة، وبالظن الصائب، والاستدلال المستقيم، وتصوّب شفرة سيفها الحاد بكل جرأة، وشجاعة، ودراية نحو المجتمع المريض وسقمه العام والسخرية ذات غاية نبيلة إذ تبحث عن التنوير، كونها مرآة لحقائق المجتمع؛ لكن بلغتها الخاصة وتعابيرها المتميزة. ومن هذا المبدأ لا تنحصر مهمة السخرية في تصوير الحياة الاجتماعية، بل تقوم بتحليلها، وتفسيرها، وتبحث عن جذور مظاهرها، ووقائعها وأخيرا تقوم بتحكيمها.» [13]

والأديب الذي يلجأ إلى السخرية في أعماله يستعمل في العادة اللغة التي تناسب المقام والحال التي يكون عليها المعني بالسخرية والمتلقي لها ، ذلك لأن المتلقي يتلقى ألوانا من الآلام من خلال الظلم المسلط عليه أو الواقع المرير الذي يعيشه من شتى أنواع المشاكل اليومية ، كما يجدر بالأديب استماله للغة البسيطة التي ترقى لمستوى المتلقي بعيدا عن التعقيدات بمختلف أنواعها ، كالألفاظ الجزلة القرية البعيدة عن الواقع والاغراق في الأساليب البلاغية الصعبة والمغفلة إلا انه لابد له من استعمال بعض الصور السهلة المنال الدالة على التهكم و الأسلوب الساخر كالتشبيهات والاستعارات التهكمية ، والتمثيلات، والكنايات على الخصوص والتلميحات والرموز، كما يتوخى من صاحب السخرية أن يكون ذا خبرة حكيم في أقواله ذو مهارة لغوية وصاحب ذوق ليصل إلى قلب المتلقي ونفسه.

وللسخرية من حيث اللغة عدة طوابع من بينها طابع الانسلاخ من الواقع والهروب منه ، حيث أنه لا يمكن أن نصور العالم بالسخرية مطابقا للواقع بل لا بد من الهروب من الواقع والقفز إلى عالم السخرية إما بالاحتقار بتصغيره أو بالتكبير الذي هو من أساليب السخرية أيضا.

---

[12] – ينظر: أبو القاسم رادفر: السخرية؛ لغتها، أشكالها، ودوافعها، [جامعة آزاد الإسلامية جيرفت] مقال منشور على موقع ديوان العرب [http://www.diwanalarab.com] بتاريخ : 2011/01/29 على الساعة : 19:11

[13] – المرجع السابق

تتميز لغة السخرية بطابع خاص، بسبب وجود لحن نقديّ يصطبغ بصبغات مختلفة، ويستخدم عناصر كلامية، ومحسنات لفظية ومعنوية خاصة وفقا لمقتضيات كلّ عصر، فعلي سبيل المثال تتميز لغة السخرية في أدب ثورة الدستور ببساطتها، وابتعادها عن التعقيدات اللفظية، والمعنوية، والسخرية في هذا العهد استطاعت أن تكون تعويضا لفقر الجوهر الشعري [14].

فالسخرية الاجتماعية الغنية في أدب ثورة الدستور وصلت إلى هذا الغناء بسبب أسلوبها اللغوي، لأنها تجمع جميع العناصر اللازمة، كتكبير العيوب الاجتماعية، والتنبيه، وبعدها عن ركالة اللفظ، والابتذال بغضّ النظر عن الهجو، كونها آلة للنضال الاجتماعي، والوقوف ضدّ قاطبة المظالم، واحتواءها على لحن لايقبل الصلح، والأهم من كلّ ذلك عنصر الإضحاك. لكن الضحك الناتج عنها إنما يصدر عن مواجهة الآلام الناتجة عن المظالم السياسية، والاجتماعية. ومن هذا المنطلق يعتبر شعر ثورة الدستور، شعر النضال والغضب، والشعر الذي يطالب الحق، ويدعو القارئ إلي التفكير. والحق أن قاطبة الأمور التي تدعو إلي الفكاهة، قوامها عرض مراحل للتقابل، والتضاد في تعامل الناس، والكاريكاتير أيضا يحتوي علي هذا الأصل، حيث هناك تناقض بين ما يتم رسمه، وبين ما هو في الحقيقة. نعم بناء السخرية قائم علي عرض عدم التناسب بين الأشياء والأمور، فهي يبعثر الأمور لتكون مضحكة، وهذا التبعثر قد يؤدي إلي الضحك، وقد يؤدي إلي الكراهية، والأديب الساخر « كمن يدفع البلاء عن كلّ الذين أصيبوا بهتك في الشعور أو المصالح، والأديب الساخر يناضل بقوة ذكائه وخبرته في الخطاب [15]

والأديب الساخر يضع الجوانب المقبولة للحياة جنب الجوانب غير المقبولة، ويقوم بواسطة معرفته للعلوم الموجودة في عصره أو لحدّة نظره في الحياة، بإبراز الخصائص التي يعجز العوام أو حتي الخواص عن رؤيتها في المجتمع، وفي الأفراد [16].

واستخدام لغة الحيوانات أيضا يعتبر من الطرائف المهمة في التعبير عن المفاهيم الفكاهية عن طريق التمثيل، أو السخرية، و تكثر في نتاجات الأدباء السلف: ككتاب كليلة ودمنة، ونتاجات نظامي، وغيرهم، انتقادات عن لغة الحيوانات في منتهي الجمال، وذلك في قالب الوصف أو المبالغة، باعتبارهما أدوات للسخرية. والإغراق مظهر آخر من مظاهر السخرية إذ يكبّر الأديب السّوءات، والعيوب بإغراق شديد عندما يأتي بصوره الهجائية، لأن الأديب يشعر بنفس الأحاسيس التي يشعر بها الناس، ولكن بشيء من الإغراق. فالكلمة الوحيدة التي يمكن جعلها مكان السخرية، هي الإغراق، إذ يصور واقع حياة الناس بنكهة السخرية.

[14] – أبو القاسم رادفر: السخرية؛ لغتها، أشكالها، ودوافعها
[15] – المرجع السابق
[16] – المرجع نفسه

وعلي هذا الأساس تتجلي أبرز سمات السخرية في التعابير غير المتعارفة، والمغرقة، والجذابة، والمؤثرة، والسارّة، وفي نفس الوقت، المنبّهة، واللاذعة، وتقديم تصاوير فنية لاجتماع النقيضين، ووضع نكهة الفكاهة، وعنصر الضحك في الأمور الجادّة في ثوب من الرمز، والكناية مع الحفاظ علي الجوانب الفنية بشكل عذب، وأسلوب ملؤه الإنصاف، بالابتعاد عن التحقير، ولكن بقصد الإصلاح مع شيء من الغضب والحقد. نعم، الأديب الساخر يبرز أشكال السوءات، والمفاسد مغرقا محاولا أن يبين الفروق بين الأوضاع الموجودة، والأوضاع المرجوّة [17].

الغاية من السخرية:

يصاب الانسان في حياته بالكثير من المعوقات التي تكون سببا في إحداث الأزمات النفسية له وتحول دونه ودون تحقيق النجاح المنشود من طرفه، بالإضافة إلى تعرضه لظروف أقل ما يمكن أن توصف بأنها سيئة أو محبطة، فعلى سبيل المثال: ما نعيشه اليوم في عالم الواقع من خلافات ونزاعات عربية وأخبار يومية مؤلمة – والتي لا يُعرف منتهاها– يثير الكثير من مشاعر الحيرة والإحباط وفقدان الأمل، وكأن باب الأمل بات مغلقًا، وأن ما بُني في سنوات كثيرة قد يهدم في لحظات أو أيام قليلة!

والسخرية متنفس للوقوف في وجه اليأس الذي تجعل من حالاتنا النفسية المحبطة محل علاج من الشرور التي تدنسها فتمنحنا الشجاعة لمواجهة مصيرنا المجهول بذلك الأسلوب التهكمي الذي ينطلق من تلك الأوجاع التي تلامس النفوس على مداد تألمنا فيأتي لوقعها صدى غريب في ذلك القالب الفكاهي ، يمتزج فيه اليأس مع الرجاء والدمعة بالضحكة والمأساة بالملهاة، فتنطلق السخرية في هذا الجو تعويضا للحالة يعيد للمثل توازنها .

وقد ذكرنا سابقا أن السخرية لها وجهها السلبي الهدام الذي ينكره الدين والعرف ووجهها الإيجابي البناء الذي يهدف لإحياء الضمائر والمثل العليا ، وطعم القسوة هو نكهتها الخاصة بتفاوت درجة حدتها وقسوتها بحسب ما تقتضيه الظروف وعلى هذا يمكن لنا أن نجمع بعض هذه الأهداف والبواعث فيما يلي:

- يجعل الكثير من الشعراء السخرية سلاحا حادا للحصول على الحقوق المستلبة من طرف الظلمة أيا كان نوعهم واختلاف أجناسهم .
- يرى الكثير من الأدباء والشعراء وغيرهم من المفكرين السخرية طريقة مناسبة لتنبيه الظالمين والأشرار دون الاحتكاك بهم على الطريق المباشر.
- كما يمكن اتخاذ السخرية صورة أدبية جميلة يبرز من خلالها الشاعر الحالة الظاهرية كالفقر المادي أو المكانة

[17] – أبو القاسم رادفر: السخرية؛ لغتها، أشكالها، ودوافعها

الاجتماعية أو الحالة السياسية وغيرها....فتكون السخرية أكثر إفصاحا من الأساليب الأخرى ، فهو ينافس في الكثير من الأحيان الكتاب والرسم والخطاب والاعلان وغيرها من الأغراض المختلفة ويتفوق عليهم في إظهار السلبيات في القالب الساخر المخلط بالجد في جميع الميادين.

كما قد يكون الأسلوب الساخر نوعا من الانتقام لما يتلقاه الشاعر من الإهانات والمذلات [18] ومن أهم سمات نجاح الأساليب الساخرة للتأثير على الفرد والمجتمع أن تكون فارغة من الدوافع الشخصية، والعقد النفسية، ومن ناحية أخرى يجب أن تكون السخرية بعيدة عن قبح في التعبير، بل قائمة على أساس فكري، وسياسي صحيح وقويم، وكما قال بعض النقاد الذين اعتبروا السخرية فنّا ظريفا، يجب ألا تبتعد السخرية عن ظرافتها الخاصة، كما يجب ألا يغفل صاحبها، المقتضيات الزمانية والمكانية، كي يصل إلى غاياتها الإنسانية العليا.

أنواع السخرية :

تعدت اصطلاحات النقاد حول أنواع السخرية وكل يصنفها على حسب الزاوية التي يرى من خلالها الدوافع التي ترمي إليها السخرية إلا أن معظمهم يرون أن لها ثلاثة أصناف أو أنواع وهي : السخرية الانتقادية والسخرية العقلية والسخرية الفكاهية. [19]

السخرية الانتقادية :

تعتبر السخرية الانتقادية تلك السخرية التي تتخذ الانتقاد طريقا خاصا للتعبير عن القضايا التي تدعو إلى الانتقاد في المجتمعات بلغة ساخرة ملؤها الضحك والمزاح، وعادة ما يكون فيها الشعر ساخرا على أساس الغاية لا الموضوع، فيستعمل معها ضروب الشعر الساخر بكل أنواعه الذي يهدف إلى نقد جميع الظواهر السلبية في الفرد والمجتمع كالهجاء مثلا أو الشعر الفكاهي أو التهكمي وغيرها ... والتي ربما قد تنطلق من النظرة الذاتية الشخصية كالكراهية التي شعور في نفس الإنسان يفرز الهجاء أو ما يسمى بظاهرة الهجاء الأدب العربي.

ويمكن القول بأن الانتقاد يشمل جميع مناحي الحياة كالاجتماعية والسياسية وحتى الظواهر الأدبية وهنا يمكن للسخرية أن تعالج جميع محتوات المجتمع في ذلك القالب الساخر بإبراز العيوب التي يراها الشاعر أو الأديب ويستطيع معالجتها عن طريق التهكم والنقد اللاذع.

---

[18] – ينظر: شمسي واقف زادة: الأدب الساخر، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية[بتصرف]، ص: 105

[19] – شمسي واقف زادة: الأدب الساخر، ص: 106

السخرية العقلية :

وهي السخرية التي تنطلق من العقل الإنساني حينما يكون عازلا نفسه عن البيئة الفكرية التي ينتمي إليها [ظاهرة الاعتزال ومنهجه] والسبب في ذلك هو إحساس الطبقة الساخرة بأنهم من طبقة أخرى غير طبقات العامة لا تتميز بالطبع المادي ، مما يدفع بهم إلى السخرية من الطبقة المادية إلا أنها ليست بدافع والكراهية أو الأحقاد الشخصية أو الضغائن الذاتية كما كان يحدث في ظاهرة الهجاء في الأدب العربي، ولعل السب في هذه الذهنية هو انطلاقها من نظرة فلسفية كما كان يحدث للمعتزلة الأولى ، وقوام هذه الفلسفة تكمن في العطف على الناس وتوجيههم إلى العيوب التي يتميزون بها بغرض إصلاحها ، فهم بذلك يريدون بها التسامي بالمجتمع إلى المثالية ببعث شعور المؤاخاة والابتعاد عن لغة التشفي والانتقام ، فهم حين يتهكمون ينتقدون ويضحكون لمنهم لا يحقدون ولا يكرهون. [20]

السخرية الفكاهية:

وهي تلك السخرية التي يقصد منها الإضحاك والتندر وخلق جو الفكاهة بغرض الترويح عن النفوس المتعبة من شقاء العيش بكل أنواعه وليس لها قصد آخر، وبالتالي هي تقريبا نوع من أنواع المزاح الذي يحدث هنا وهناك لطرد الملل والسأم وإزالة ما يعلق في القلب من هموم الدنيا ومشاغلها التي لا تنتهي، وهذا النوع من السخرية محبب لدى معظم الناس لما فيه من إفراغ لهموم الدنيا المجتمعة على قلب الانسان .

علاقة السخرية بالمجتمع والفرد:

إنّ الصلة بين ظاهرة السخرية والمجتمع أشبه ما تكون بصلة البذرة بالتربة، فهي أصل نشأتها وعالم وجودها، ولولا تغيرات الحياة التي استوجبت وجود مثل هذا اللون ما ظهرت. أما عن دورها في حياة الأفراد فيأتي منسجماً مع الغاية الجماعية التي تحققها، فهي تؤلف بين أفراد المجتمع وتزيد من روح التعاطف بينهم، وتوحدهم في الدفاع عن إثرهم الاجتماعي والديني والأخلاقي، فيعبر الساخر عن رأي المجتمع في الخارجين على سلوكيّاته وأخلاقه التي أقرها، ودخلت لا وعيه، وتغدو السخرية إطاراً واسعاً لكل التناقضات، نستقرئ من خلالها أحوال المجتمع، وما مر به من أحداث، وما استقر فيه من عيوب ذاتية واجتماعية، وأهم من هذا أنها تصبح في لحظة ما رادعاً قوياً عندما لا يكون في القانون ما يوجب عقاباً مادياً على انحرافات وأخطاء غير مادية. وقد تخلق السخرية عاملاً وقائياً يحجب الفرد عن مخالفة الإجماع، خوفاً من سخط الساخر، وردة فعل غيره.

[20] – ينظر: شمسي واقف زادة: الأدب الساخر، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، ص:107

وتعتمد السخرية في صياغتها على الملاحظة الخارجية التي تأتي من خلال مراقبة الساخر لتصرفات الناس كما أنها تخفي رغبة قوية في التغيير، وحلماً بنظام آخر في العالم [21] وقد تأتي بدوافع نفسية تختلف من شاعر إلى آخر، ومن الكتّاب من عرض للسخرية من جانبيها النفسي والفني، وكشف عن دورها المهم عند شعراء معروفين من أمثال أبي نواس وابن الرومي وغيرهما، فقد استطاع أدونيس من خلال السخرية أن يتعمق إلى أبعاد ترتبط بعالم كل شاعر من هؤلاء، ويتساءل أدونيس عن معنى السخرية العميق عند الشعراء العباسيين بقوله [22]: « ولكن، ما هو معنى السخرية العميق عند هؤلاء الشعراء؟ إنه الرغبة بالظفر على أشياء، بظفر الوعي على ما يحيط به».[23]

إن رؤية أدونيس هذه تذهب إلى اعتبار أن السخرية حاجة نفسية تنطلق بإرادة الإنسان، يبغي من خلالها فهماً وإدراكاً لأشياء غير مفهومة، بحيث تصل بالإنسان إلى مرحلة من الوعي والانطلاق أو « تحرر العالم وإن وقتياً من سباته المعتم ». ويرى أن هذا الانطلاق يبدأ من الساخر نفسه، لأن السخرية في أصلها منفى يشك الشاعر فيه بنفسه وبالآخر، ويرى سعد شلبي أن الهزلية الرفيعة تنشأ حين تكتشف المعرفة العميقة للحياة[24] أما على الجانب الفني فهي تمنح الشاعر وشعره نبرة من الجموح والحركية، كما هو الحال عند ابن الرومي.

وتناول السخرية أيضاً من جانبيها النفسي والفني أيمن العشماوي، إذ ربط بين الجانبين وكشف عن دوريهما، فهي في نظره ظاهرة نفسية وفنية في الوقت ذاته، تعمل على تشكيلها مجموعة من العوامل النفسية التي تأتي غالباً نتيجة لصراع بين عالم الشاعر الداخلي وبين قوة خارجية يرفضها ويقاومها، وقد يصل الصراع إلى أقصى درجاته إذا أحس الشاعر بالقهر والظلم كما حدث عند بشار بن برد[25] ولهذا فهي تؤدي دوراً صحياً ففيها يتحقق ضرب من التعويض وهي كذلك وسيلة نافعة للتهرب من مشاغل الحياة ومتاعبها [26].

---

[21] – أدونيس ، مقدّمة للشعر العربي ، دار الأسوار ، عكا القديمة ، 1977م ، ص: 40، 41

[22] – أدونيس، مقدّمة للشعر العربي ، ص: 39، 41

[23] – هكذا في الأصل . والصّواب أن يقال : إنّه الرّغبة في الظّفر بأشياء ، بظفر الوعي بما يحيط به

[24] – سعد إسماعيل شلبي : الشعر العباسي التيار الشعبي، القاهرة: مكتبة غريب، ص:86

[25] – أيمن العشماوي: خمريات أبي نواس، دار المعرفة الجامعية،، 1998، ص:224

[26] – عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي، مكتبة لندن، 1992م ، ص:20

وقد لا تكون غاية السخرية الفرد في ذاته، وإنما يصبح الفرد وسيلة لمواجهة الظواهر السلبية وهذه قضية اختلف فيها النقاد والأدباء، ففي حين يرى عبد الحليم حفني في السخرية سلاحاً اجتماعياً، تحافظ به الجماعة على كيانها ومقوماتها [27] يرى فيها على أدهم شعوراً فردياً ينبعث من أعماق نفس الفرد، ويندر أن تعم وتصبح شعوراً جماعيّاً، ويدعم وجهة نظره هذه بأن السخرية قد تتناول موضوعات أخرى غير الحياة الاجتماعية، فقد يسخر الإنسان من نفسه، وقد يسخر من الطبيعة، وقد يتناول بسخريته الخليقة جميعها [28].

ولا ينفي زكريا ابراهيم صفة الفردية عنها، فقد اعتبرها أثرا اجتماعيا ، لكنها لا تخلو من الفردية في جانب منها ، ويربط السخرية بالأثر الناتج عنها، وهو الضحك، ويوازن بين حالة الفرد في عزلته، وحالته مع جماعة، في اختلاف حدة هذا الأثر، حيث نجده يقوى ويرتفع بمشاركة الجماعة، ويبهت ويضعف دونهم [29]، ونحن نميل إلى هذا الرأي إذْ من الصعب اعتبار السخرية غاية فردية، معزولة عن المجتمع، ويؤكد هذا الأسباب التي أدت إلى ظهور السخرية في الأدب العربي. فكما أشرت آنفاً، فإن حركة المجتمع وتغيراته، وتناقضاته هي التي أخرجت هذا الفن وأبرزته.

حول تاريخ فن السخرية :

لَم يعرف العرب في الجاهلية السخرية بوصفها ظاهرة، بل غلب على أشعارهم الطابع الجدي، فعرفوا الهجاء الذي وأكب المديح وسايره، وكان جزءاً مِن القصائد التقليدية، منبثاً في حماستهم وإشادتهم بأمجادهم وانتصاراتهم الحربية، وكان في جوهره تعبيراً عن احتقارهم للضعف والخَوَر، فدار فيما يتصل بذلك من القعود عن الغزو، والتقصير في حماية الجار، والعجز عن أخذ الثأر، والانهزام في المعركة، والاستسلام للأعداء، ووضاعة النسب، والبخل والفقر. واستمر الهجاء على هذه الصورة في صدر الإسلام، وإن كان بعض شعرائه قد فصلوه عن غيره من الموضوعات، وأفردوه في مقطوعات، وعابوا فيه مهجوييهم بالكفر والشرك، ومخالفة الخلق القويم [30]

وعُدّ الهجاء بالمفهوم السابق إثماً كبيراً لا يجوز أن يجري به لسان الشاعر، وخاصة المقذع منه، وقد فسّر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الهجاء المقذع حين أطلق الحطيئة من سجنه بسبب هجائه للزبرقان بن بدر عندما قال له: «إياك والهجاء

---

[27] – عبد الحليم حفني: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، لهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1 [1978]، ص:17

[28] – علي أدهم: لماذا يشقى الإنسان؟، فصول في الحياة والمجتمع والأدب والتاريخ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1960 ، ص:107

[29] – زكريا إبراهيم، ص62

[30] – محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، مكتبة الادابة بالجمايز ، ط1 1948، ص 178، ص 225.

المقذع. قال: وما المقذع يا أمير المؤمنين؟ قال: المقذع: أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء، وأشرف، وتبني شعراً على مدحٍ لقومٍ وذمٍ لمن تعاديهم» [31].

وأمّا في العصر الأموي فقد نما الهجاء نموّاً كبيراً في شكله ومضمونه وغايته، واحترفه شعراء النقائض، حتى أصبح قصائد مطولة، مستغلين فيه التاريخ الجاهلي بما فيه من أنساب ومثالب، وحروب، وانتصارات، وهزائم، ثم التاريخ الإسلامي، ومواقف القبائل من الدولة الأموية وخلفائها، متوخين من نقائضهم التسلية والترفيه والإضحاك، لا تهييج الشر وتحريك الفتنة [32]. وتبقى النقائض مناظرات أدبية أوجدتها ظروف عقلية وأخرى اجتماعية في عصر بني أمية أكثر من كونها هجاءً بالمعنى المعروف في الجاهليّة، والشاعر لا ينظم معاني بدوية بسيطة، بل ينظم معاني تتلاءم مع التطور العقلي الحديث الذي أصابه الذهن العربي، والذي طوّره من بعض جوانبه [33] . وانتهى فن النقائض في القرن الثاني أو أوشك على الزوال بانتهاء الدوافع الاجتماعية والعقلية التي كانت تدعو إليه ، ثم بدأت تظهر في أوائل العصر العباسي ظواهر أدبية جديدة، منها الفكاهة التي سايرت الهجاء، حيث اتجهت كثير من النفوس إلى الفكاهة بغرض التسرية، وظهرت في الشعر أساليب التندر والتهكم، وتفنن الشعراء في صوغها [34]. وأخذت شكلاً جديداً في تناولها للحياة.

ثم ظهرت السخرية التي تعمد إلى التقاط العيوب، وتصويرها ونقضها بطريقة مضحكة، ولا يعني ذلك عدم وجود بعض الأبيات الساخرة قبل العصر العباسي، فقد عُرف هذا اللون عند الحطيئة وجرير وغيرهما لكن في حدود ضيقة، ومع ذلك فإنّ ظاهرة السخرية وانتشارها في أدبنا العربي لم تبدأ بوضوح إلا ببداية المرحلة العباسية، وهي ظاهرة بدأت عند كتّاب ذلك العصر، إذ ظهرت عند الجاحظ في رسائله، وفي كتابه «البخلاء » ثم عند الشعراء ابتداءً من بشار بن برد حتى أبي العلاء في القرن الخامس، مروراً بأبي نواس وابن الرومي وغيرهما [35].

---

[31] – أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، دار الجيل، ط5، [1401 هـ – 1981 م] ج2، ص170

[32] – شوقي ضيف ،التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ط2، مزيدة ومنقّحة ، دار المعارف ،1959م، ص163، ص204.

[33] – المصدر السابق ، ص205،204،203.

[34] – فتحي محمد عوض أبو عيسى ، الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1970م، ص170.

[35] – أيمن محمد زكي العشماوي: خمريات أبي نواس– دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص224.

ويرجع ظهور السخرية إلى بدء النظرة المتحررة من الماضي، وإلى تفوّق الشعور الفردي الذي ظهر عند شعراء هذه المرحلة، فأصبح الشعور بالغربة والانفصال عن الآخرين يشكل ظاهرة عامة، يتسم بها معظم الشعراء العباسيين من أمثال بشار وابن الرومي وغيرهما [36] ، فكانت لهؤلاء الشعراء مواقف يقفونها من الناس والمجتمع ونظرات في الحياة ورؤى ذاتية، وكانت رؤية كل شاعر تختلف عن رؤية الآخر، وأدى ذلك إلى اتساع مضمون السخرية، وتعدد دلالاتها واختلاف أساليبها باختلاف كل واحد منهم، ولكنها عند الجميع تناولت مظاهر الحياة المختلفة بما في ذلك القيم الدينية التي حاول الشعراء تفسيرها، ونقل مصطلحاتها وألفاظها في إطار آخر [37]

وتعد السخرية من أبرز ملامح التحول في الموقف الشعري عند الشعراء العباسيين، فالصدام بين هؤلاء الشعراء ومجتمعاتهم وتقاليد الحياة في عصورهم وصل حد الرفض والإنكار والثورة أحياناً [38] ، وهذا عائد إلى الظروف التي غيرت وجه المجتمع ومنحته شكله الجديد لما نشأ من صراع سياسي وآخر شعوبي واضطراب في مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية ثم تطور الحياة الفكرية والعقلية[39].

وأصبحت السّخرية في العصر العباسي ظاهرة تلح علينا في الوقوف عليها، ومتابعتها، والتعرف إلى شعرائها الذين صاغوا لنا آراءهم وأفكارهم بأساليب ساخرة، فخرجت حية نابضة تعبر عن موقف رافض ومتمرد أحياناً، وعن مشكلات نفسية واجتماعية أحياناً أخر، وقد شملت سخريتهم قضايا متعددة، نستطيع من خلال قراءتها أن ندخل إلى تناقضات شتى عاشها ذلك المجتمع وأثّرت فيه.

الصورة الفنية عند أحمد مطر ومصادرها:

تعتبر الصورة الفنية سمة مميزة للشعر منذ أقدم العصور، و إن أصبحت من السمات الأساسية في العصر الحديث، و يمكن بلورة مفهوم الصورة الشعرية الفنية من خلال القول أنها جزء مهم من التجربة الشعرية، و يكمل جمالها بفاعليتها مع العناصر الأخرى، و مما يساهم في التقليل من فاعليتها الوقوف عند التشابه الحسي بين الأشياء دون ربط ذلك بالشعور المخيم على الشاعر في أثناء تجربته، و من الأمور التي تفقدها القيمة تناقص الصور الجزئية في داخل القصيدة، حيث أن الصورة الجزئية التي

[36] – أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار العودة – بيروت ط2 – 1979م، ص:39.

[37] – محمد زكي العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي،ص128.

[38]– انظر إلى الفساد الاقتصادي والتباين الطبقي والإضراب السياسي في كتاب حسين عطوان : شعراء الشعب في العصر العباسي الأول (عمان: مكتبة عمان)، 1970،ص9- 33

[39] – محمد العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، ص:128.

تعتمد على الإيحاء أجمل و أقوى أثرا من الصورة التي تعتمد الوصف و التقرير المباشر، مع مراعاة أن نجاح الشاعر لا يتوقف على كون ألفاظ الصورة مجازية، فقد تكون ألفاظها وعباراتها حقيقية و تشع مع ذلك بصور دقيقة موحية تدل على سعة الخيال المبدع[40]

ومما لا شك فيه أن التصوير الفني يختلف عن النحت و الرسم و الفنون التصويرية الأخرى، من حيث أداته، كما يختلف أيضا عن التصوير الفوتوغرافي و التحرير النثري للوقائع والمشاعر.

و قد كان « أحمد مطر» شاعرنا العربي المميز من الشعراء المعاصرين الذين خاضوا غمار تجسيد الواقع بالتجربة الشخصية محاولا تحقيق هذه المعادلة الكؤود، الكنود، بين الوضوح والواقعية من جهة، وفي الصفحة المقابلة بين العمق والغنى في الإيحاء، فالقارئ لديوانه يجد أن صوره سهلة في متناول الجميع، واضحة، خالية من الغموض والسريالية، لكنها في نفس الوقت تختزل العديد من الصور المتداعية التي تمنح المتلقي آفاقا واسعة و عميقة إلى أبعد الحدود [41] .

من الأهمية بمكان أن نتحدث عن الصورة الفنية، و عن مصادر هذه الصورة، فللصورة الفنية عدة مصادر تعبّ منها و ترتشف من معينها و تتبلور من خلال جزئياتها، و تتفاعل فيما بينها، معتمدة على التخزين و تختلف من مبدع لآخر، « و أسبابها متعددة منها الاستعدادات الفطرية، و منها الموروثة، و من الخبرات الإيجابية و السلبية التي يتلقاها المرء من البيئة المحيطة، كما نجد أن الأحداث التي تقع للإنسان فتكون هي النقطة التي تحول ارتكازه في حياته كما أن الحالة الصحية و مستوى الحيوية التي يتمتع بها» [42].

ومن بين المصادر التي تعتمد عليها الصورة هي «التراث»، هذا العنصر الفعال الذي يعد المنبع الأول لثقافة الشاعر، كما أن تأثير التراث على المبدع انطلاقا من إعطائه الخبرة المكتسبة في بلورة الصورة و تشكيلها و كيفية طرق إبداعها، أو انطلاقا من ربط المبدع لعلاقات تماثل بين عناصر التراث، و عناصر الواقع المعيش [المسمى بالمفارقة التصويرية].[43]

كما تعتبر من مصادر الصورة «عنصر الطبيعة»، حيث أن الطبيعة تعد المصدر الأساسي لمنح الشاعر مكونات و الظواهر التي تحويها الطبيعة و تتميز بها، ففي أية صورة سنجد جزءا من الطبيعة مهما كانت متناقضة أو عبثية بالسنن الكونية و قوانين الطبيعة، فهذه العبثية دليل على وجود صورة في وضع خاص ذي دلالة خاصة[44]

---

[40] – ينظر: كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ص: 205- 206.

[41] – ينظر: المرجع السابق . ص: 205-206.

[42] – المرجع نفسه ، ص ن.

[43] – ينظر : المرجع نفسه، ص:207.

وثالثة الأثافي هو « الخيال» الذي يعد من مصادر الصورة، إذ هو القوة الخلاقة التي تقلب موازين الواقع و الطبيعة، و يمنحها قوانين خاصة، فتستنهض ثقافة المبدع، و تسترجع الحالة الشعورية التي عايشها في تجربته، فتبقى الأحداث و يختار المواقف و يعيد تنسيقها و يخرجها في قالب جميل، مؤهل للبوح بما يريد، وقد استخدم شاعرنا الحصيف « أحمد مطر» نوعان من الصورة وفق بنائها هما: الصورة المفردة الجزئية، و الصورة المركبة.

الصورة المفردة الجزئية:

للصورة أهمية كبيرة من حيث التعبير عن التجربة دون الابتعاد عن باقي الصور في القصيدة، فالصورة عبارة عن تلاحم بين «أفكار و أحاسيس و ألفاظ ينتقيها، و الموسيقى التي تحتويها، والشاعر « أحمد مطر» يبني صورته الجزئية وفق وسائل بنائية عدة من بينها «تبادل المدركات»، والذي يعني به تبادل الصفات بين الماديات و المعنويات، فمن خلال التجسيم تدب الحياة والصفات الإنسانية في المحسوسات و المعنوية، و من خلال التجريد تكتسب الماديات صفات معنوية و تزول الحواجز بين المعنوي و المادي[45]. و من ذلك محاولة تشخيصه للوطن في قصيدته « **الطفل الأعمى** »:

وطني طفل كفيف
وضعيف
كان يمشي آخر الليل
و في حوزته:
ماء، و زيت، و رغيف
فرآه اللص و انهال بسكين عليه
و توارى
بعد ما استولى على ما في يديه.
وطني مازال ملقى
مهملا فوق الرصيف
غارقا في سكرات الموت
و الوالي هو السكين

[44] – ينظر : المرجع نفسه، ص: 207.
[45] – ينظر : المرجع نفسه، ص: 208- 209

..و الشعب نزيف [46]

فقد أبدع الشاعر في هذا التشخيص من خلال الصيغة الدرامية التي أسبغها على القصيدة، حيث أوجد الصراع، و أبرز تصاعد الأحداث، و ختم بنهاية مفتوحة تعبر عن الواقع المرير، فهذا الوطن [الطفل الكفيف] حي يلفظ أنفاسه الأخيرة على أثر جرح، أحدثته طعنة اللص [الاستعمار]، التي استخدم فيها سكينا حادة [الحاكم]، فراح الطفل ينزف بغزارة نزيفا لا ينقطع[الشعب]، لكن الشاعر لم يترك نهايته قاتمة يائسة، بل ترك للمتلقي أملا، تمثل في الفجر القادم الذي يترقبه الطفل حيث أنه كان يسير في آخر الليل![47] .

«.. كما قد تبنى الصورة الجزئية» على تراسل الحواس» وهو الذي يقوم على وصف مدرك حاسة بما يوصف به مدارك حاسة أخرى، حيث يوصف المرئي بصفات المسموع، و يوصف المشموم بصفات الملموس، فتختلط الصورة مشكلة نوعا من التحدي و الاستفزاز لذهن المتلقي ووجدانه، و هذا الأسلوب في التصوير يسير عكس الاتجاه المألوف في لغة التعبير الفني»[48].

ضف إلى ذلك التصوير بالتشبيه و « مزج المتناقضات »، و ذلك بالجمع بين الأشياء المتباعدة و تعانق الشيء، و نقيضه في كيان واحد، محاولا من كل ذلك التعبير عن حالته النفسية و الأحاسيس الغامضة الكامنة بداخله، و قد وظف هذه الطريقة في خلق المفارقة التي تنفجر من كلمات معدودة تحمل المتناقضات، و من ذلك التعبيرات..

« الصدفة المتعمدة، الجمر المنقوع و الخفض المرفوع و الصمت المسموع، هواء الخنق الطلق، وكؤوس السم العذبة، العاهرة المصون و الخائنة المخلصة و القاسية الحنون، وعي الغفلة، حصاد الثلج من المواقد ...إلى آخره » [49]

و قصيدته التالية تجسد التناقض و الجمع بين التضادات بعنوان « **أمل أخير** »:

ألمح لصا راكضا

في أثر الحارس!

أرى حمارا راكبا

برذعة الفارس!

أرى حبيسا داعيا

[46] – أحمد مطر. الديوان. الأعمال الكاملة. ط1؛ أغسطس، 2000، لندن، ، ص:119.

[47] – ينظر : أحمد كمال غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ص: 212

[48] – المرجع السابق. ص : 213

[49] – أحمد مطر، الديوان ، لافتات، 05، ص: 76.

بالنصر للحابس!

ألمح عريانا يقي بجلده القارس

أحذية اللابس!

أسمع وردا هاتفا للقنفذ الفاطس:

[نفديك يا خايس]

... ...

لي أمل خبأته للزمن العابس

أدعوه: هل أنت هنا؟

يجيبني نعم، هنا

لكنني يائسفي صبحنا الدامس [50]

فالشاعر هنا يعمل بخياله الواسع على تحويل الواقع إلى أمور مدهشة، فهو يمتلك قدرة غريبة على الإدهاش نابعة من فاعلية المفارقة التي يصنعها في كل قصيدة من قصائده، فيوظف مزج المتناقضات في هذه القصيدة لكشف طبيعة الواقع، و لإبراز الخلل الذي يدور في محوره، فيظهر لنا الصبح الدامس المعتم، نظرا للقوانين و الأنظمة المستبدة، كما يرى انقلاب الموازين و تغيير المعايير، إذ أن اللص هو من يطارد الحارس و يحاكمه، و الحمار يتحكم في رقبة الفارس الشجاع، و الحبيس المظلوم يدعو بالإكراه لمن حبسه وظلمه، و العريان الذي يعاني من البرد القارس يعمل من أجل راحة الغني اللابس، و الورد الجميل المنظر والرائحة يجامل جيفة القنفذ القبيح المنظر و الرائحة، وينافقه مكرها مجبرا، ... ليصل بنا في النهاية إلى نتيجة حتمية و هي الأمل المرصود للزمن القادم الذي لم يستطع تحمل المأساة و الظلم، فيعتريه التغيير و يصيبه اليأس و القنوط[51]

الصورة المركبة الكلية:

الصورة المركبة هي مجموعة من الصور الجزئية المترابطة يوظفها الشاعر لأن الصورة الجزئية لا تستطيع أن تستوعب عاطفته و فكرته بصورة متكاملة، و خصوصا إذا كان الموقف على قدر من التعقيد أكبر من أن تستوعبه صورة جزئية و بتلاحق الصور الجزئية تكتمل الصورة الكلية لتجسيد الموقف ككل متكامل، و يتجلى ذلك واضحا في قول الشاعر:

[50] – المرجع السابق، ص: 419.

[51] – ينظر: كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر. ص: 218.

أقول:

الشمس لا تزول

بل تنحني لمحو ليل آخر

.. في ساعة الأفول!

... ...

أقول:

يبالغ القيظ و ينفخ ناره

و تصطلي المياه في أواره

لكنها تكشف للسماء عن همومها

و تكشف الهموم عن غيومها

و تبدأ الأمطار بالهطول

..فتولد الحقول [52]

ففي هذه اللافتة نجد « الشاعر» يقدم مجموعة من الصور المفردة المترابطة التي تتكامل لتمنح المتلقي صورة مركبة كلية واحدة، فالصورة الجزئية الأولى عن بقاء الشمس و عدم زوالها، تتآزر معها الصورة الجزئية الأخرى للشمس و هي تمحو ليلا آخرا لحظة غيابها عن مكان جديد، ليرسِّخ الشاعر المعنى الذي يرمي إليه، و هو حتمية انتصار الحق في كل مكان مهما طال الظلم »[53]

و انطلاقا من قصائده نجد أن الشاعر يعتمد في صوره على التشبيهات الكثيرة والاستعارات و المجازات ذات الطبيعة الوجدانية و الخيالية المحملة بالألفاظ العامرة بالدلالات و الشعور، و الرموز، و في أغلب عناصره تلك الصورة الشعرية التي يتحدث فيها الشاعر عن جراحه و آهاته و آلامه و طموحه و همومه و معاناته، مستمدا إياها من حياته التي يحياها، فهو يبالغ أحيانا في استعماله للصور بغية قصائده التي يريدها أن تكون كلها صورا على صور.

كما يمتلك الشاعر القدرة على الإبداع و المزج بين عناصره في قالب جميل متكامل، فإنه ولا شك يحتاج إلى بواعث من أهمها نفسية الشاعر و شخصيته، و البيئة التي يعيش فيها، وكذلك العصر الذي ينتمي إليه، فكل إنسان له ظروف حياتية

[52] – أحمد مطر، الديوان ، لافتات:05، ص: 76

[53] – كمال أحمد غنيم. عناصر الإبداع في شعر أحمد مطر. ص: 219.

خاصة، و مؤثرات نفسية، وصفات تختلف من شخص لآخر، و لكل مرء بصمات خاصة أيضا تطبع نظرته للكون و الحياة، و واقعه الذي يعيش فيه، و لعله من المفيد استعراض الباحث هذه البواعث في عجالة تضيء جوانبها المتعددة[54]

السخرية عند أحمد مطر:

إن الناظر لشعر أحمد مطر يرى بكل وضوح أنه لم يخلو من السياسة في معظم قصائده بل يمكن القول بأن شعره سياسي البتة إلا في نزر يسير من لافتاته التي يتغنى فيها بالوطن وشوقه وحنينه له ، كما أن شعره يميل إلى البساطة اللغوية التي تسمى [السهل الممتنع] كشعر نزار قباني ومحمود درويش وغيرها من شعراء العصر الحديث الذين ينظرون إلى الشعر أنه رسالة إنسانية تعالج قضايا المجتمع وهمومه بتشخيص المشاكل وتحليلها وإيجاد الحلول المناسبة لها.

ونرى بوضوح أن الشاعر أحمد مطر شاعر مبادئ وأن نمطه الشعري ينتمي إلى شعر المواقف الواضحة، تلك المواقف التي لا يجد القارئ صعوبة في فهمها وتعرف ملامحها، وهو أمر يكاد يشترك فيه معظم الشعراء السياسيين من شعراء المقاومة الفلسطينية مثل محمود درويش. كما يتميز بالجد والبراعة في اختيار مواضيعه وعرضها بصورة متفردة معتمدا في ذلك على حصيلته اللغوية. ويتميز شعره بأنه ذو غرض واحد وليس متعددة الأغراض فكان يتناول موضوعا واحدا محددا في كل قصيدة من قصائده.

فعمل الشاعر « أحمد مطر» على إبراز حالة المجتمع العربي والاسلامي في كل ما يجري للشعوب ، و فضح أساليب الحكام في تكريس عروشهم دون مبالاة بأبسط حقوق الشعوب، « فأحمد مطر» يحمل الحكام و السلاطين كل البلاء و يحملهم سبب خيباتنا في كل شيء، و هم السبب في التخلف الذي يضرب بأطنابه على الجوانب الحياتية المختلفة، وهو دليل قاطع على أن هناك تواطئا بين السلاطين و الحكام و الاستعمار البغيض...

ولعل أكثر ما جعل الشاعر « أحمد مطر » موضوعا لسخرية واستحوذ على حصة الأسد في شعره الساخر هم الحكام العرب، فإنّ الأنظمة الدكتاتورية التي هيمنت على الأمة العربية فضيقت على الأحرار الخناق وكتمت أنفاسهم وأزكمت أنوفهم بمشموم روائحهم النتنة، التي خلقت بتظلمها أجيالا من شذاة الأدب والحياة الذين مارسوا التمرد على أولئك الساسة ووقفوا في وجه تعنتهم واستبدادهم وحولوا أدبهم رسائل موجعات للتنغيص على أولئك الظلمة من طلاب الكراسي مصداقا لقول المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم :﴿ **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**﴾ [55]، فما كان من هؤلاء النخبة من الأدباء والشعراء إلا أن يلتحموا مع صفوف المعارضين الذين رفضوا الخنوع

[54] – ينظر: المرجع السابق. ص: 41.

[55] – ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم، مؤسسة الرسالة [1422هـ / 2001م]، د ط، ج2، ص: 243.

والاستكانة وتلبية مزاجات المستبدين الذين يسعون إلى تعمية بصائر الأحرار وذر الرماد في عيون المبصرين الذين أبصروا الحق واستقامت لهم دروب الحياة

بكفاف وعفة وطهارة بعيدا عن عهر الساسة وزبانيتهم [56]

والسخرية عند أحمد مطر لم تتوقف عند شخص الحاكم فحسب بل تعدت إلى كل ما يتعلق به من نظامه الفاسد الذي يسعى جاهدا في التضييق على الشعوب

العربية حتى وصف الوطن العربي بأنه معتقل أمريكي كبير[57] ، فهو يرى أن الحاكم لا يعرف سوى سياسة ذر الرماد في العيون لإخفاء الحقيقة على شعبه المضطهد:

هل إذا بئس كما	**و لا الحبر دما**
قد عسى لا إنما	**هكذا وضح معانيك**
من إلى في ربما	**دواليك دواليك**
هكذا سلمك الله قل الشعر	**لكي يعطيك واليك فما**
لتبقى سالما	**وطني يا أيها الأرمد**
هكذا لن تشهق الأرض	**ترعاك السما**
و لن تهوي السما	**أصبح الوالي هو الكحال**
هكذا لن تصبح الأوراق أكفانا	**فابشر بالعمى** [58]

فيرى الشاعر في هذه اللافتة أن الوالي الذي يقصد من خلاله الحاكم هو الكحال الذي يزين أعين الناس بالأثمد، لكن يلتفت ليبشر المتكحل بالعمى لأن الوالي في نظره لن يزين عين المواطن بل يخفي عليه الحقائق ليجعله دائما غافلا عن فيعميه عن رؤية الحقائق.

---

[56] – رضا محمد جبران: آليات الخطاب النقدي في شعر أحمد مطر، مقال منشور بتاريخ: 2013/08/06 على الساعة 23:16 ، موقع [https://pulpit.alwatanvoice.com]

[57] – ورد ذلك في أمسية شعرية لأحمد مطر ألقاها سنة 1988 وهي مسجلة على الأشرطة وفي المواقع المختلفة يمكن الاطلاع عليها على اليوتوب على العنوان التالي: [https://www.youtube.com/watch?v=_lUcn0wDmyI]

[58] – أحمد مطر : الديوان ، لافتات 1 ص: 24.

ولم يتوقف الشاعر عند السخرية من الحكام وتبعاتهم بل يتعدى ذلك إلى كل ما هو سلبي في المجتمع فيسخر أيضا من الشعراء الذين يتملقون للأنظمة من أجل الحظوة والكسب والخوف مما في أيديهم:

كفرتُ بالأقلامِ والدفاترْ .
كفرتُ بالفُصحى التي
تحبلُ وهيَ عاقِرْ .
كَفَرتُ بالشِّعرِ الذي
لا يُوقِفُ الظُّلمَ ولا يُحرِّكُ الضمائرْ .
لَعَنتُ كُلَّ كِلْمَةٍ
لَمْ تنطَلِقْ من بعدها مسيرهْ
ولمْ يُخطِّ الشعبُ في آثارِها مَصيرهْ لعنتُ كُلَّ
شاعِرْ
ينامُ فوقَ الجُمَلِ النّديّةِ الوثيرةْ
وَشعبُهُ ينامُ في المَقابِرْ .
لعنتُ كلّ شاعِرْ
يستلهِمُ الدّمعةَ خمراً
والأسى صَبابَةً
والموتَ قُشْعَريرةْ .
لعنتُ كلّ شاعِرْ

يُغازِلُ الشّفاهَ والأثداءَ والضفائرْ
في زمَنِ الكلابِ والمخافِرْ
ولا يرى فوهَةَ بُندُقيّةٍ
حينَ يرى الشِّفاهَ مُستَجِيرةْ !
ولا يرى رُمّانةً ناسِفةً
حينَ يرى الأثداءَ مُستديرَةْ !
ولا يرى مِشنَقَةً
حينَ يرى الضّفيرةْ !
**
في زمَنِ الآتينَ للحُكمِ
على دبّابةٍ أجيرهْ
أو ناقَةِ العشيرةْ
لعنتُ كلّ شاعِرٍ
لا يقتني قنبلةً
كي يكتُبَ القصيدَةَ الأخيرةْ![59]

ففي هذه القصيد يسخر الشاعر من شعراء البلاط الذين لا يؤثر شعرهم في نفوس شعوبهم فيلعنهم لعنا ويضفي عليهم صفاتا قبيحة، وهو يكفر بشعرهم ويهون من قيمته، فيرى هؤلاء الشعراء نائمين أو هم تكملة للسلاطين المتجبرين وعلى هذا فهم يجعلون من شهواتهم هدفا لشعرهم.

وما يهم هو أن مجالات السخرية في شعر أحمد مطر متعددة لكن أعظم مجال في ذلك هو

[59] – أحمد مطر: الديوان، لافتات3، ص: 123.

السخرية من الحاكم التي أخذت حصة الأسد – كما ذكرنا سابقا – إلا أنه في بعض الأحيان يسخر من بعض السلبيات الموجودة في المجتمع بهدف تحريك الضمير العربي الحر ورفع لواء الثورة ضد الظلم والظلام .

خاتمة

السخرية والتهكم من الأساليب التي استخدمها الشعراء قديما وحديثا والتي تعبر عن رفضهم للسلوكيات بمختلف مستوياتها سواء كانت من الحاكم أو المحكوم، وليس الهدف منها هو التسلية والضحك على العامة والخاصة أو تثبيط الهمم ، بل يرجو منها الأديب هو تحريك الهمم والضمائر النائمة والميتة بأبسط الطرق ووصولها عن طريق فهم المتلقي حجم المشاكل التي تعلق بالمجتمع للموازنة بين المحاسن والمساوئ والغلبة لمن في الأخير، وهذا ما يتوخاه الأديب من خلال هذا الأسلوب الذي يتخذه طريقة التزام شعري تجاه قضايا وطنه وأمته.

وقد تعددت سخرية الشاعر أحمد مطر في شتى لافتاته إلا أن السخرية من الحاكم أخذت حصة الأسد في دواوينه ؛ فصورة الحاكم يراها الشاعر في كل ركن، و في كل زاوية من هذا الكون، يراها صورة قاتمة مقيتة، وجب محاربتها في كل الأمصار و الأزمان، والحاكم عند شاعر الحرية هو رمز الظلم والعبودية للآخرين، هو الظلام الدامس، و الوجه الكالح؛ فهو يغتصب الحقوق دون وجه حق وهو الذي يستعبد أمة حرة مستعينا بقوى الشر و الظلامية المتمثلة قوى الظلم والطغيان ....

قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : المصادر والمراجع:

[01] ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم، مؤسسة الرسالة (**1422**هـ / **2001**م)، د ط .

[02] أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، دار الجيل، ط5، (1401 هـ /**1981** م).

[03] أحمد مطر. الديوان. الأعمال الكاملة. ط1؛ أغسطس، (**2000** م)، لندن.

[04] أدونيس ، مقدّمة للشعر العربي ، دار الأسوار ، عكا القديمة ، (**1977**م).

[05] حسين عطوان : شعراء الشعب في العصر العباسي الأول، (عمان: مكتبة عمان) (**1970**م) .

[06] أيمن العشماوي: خمريات أبي نواس، دار المعرفة الجامعية، (**1998**م).

[07] أيمن محمد زكي العشماوي: خمريات أبي نواس، دار المعرفة الجامعية، (**1998**م)

[08] سعد إسماعيل شلبي : الشعر العباسي التيار الشعبي، القاهرة: مكتبة غريب.

[09] شوقي ضيف ،التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ط2، مزيدة ومنقّحة ، دار المعارف ،(1959م)

[10] عبد الحليم حفني: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، لهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 (**1978**م)

[11] عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي، مكتبة لندن، (**1992**م)

[12] على أدهم: لماذا يشقى الإنسان؟، فصول في الحياة والمجتمع والأدب والتاريخ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (**1960**م)

[13] فتحي محمد عوض أبو عيسى ، الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، (**1970**م)

[14] محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ): لسان العرب، دار صادر بيروت ط1:(**1414** هـ)

[15] محمد زكي العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1 (**1981** م).

[16] محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، مكتبة الادابة بالجمايز ، ط1 (**1948**م)

[17] أحمد كمال غنيم، عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر، العالم. مكتبة مدبولي ط1 (**1998**م)

ثانيا: المجلات والدوريات

[18] شمسي واقف زادة: الأدب الساخر ، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، مقال منشور في مجلة دراسات الأدب المعاصر العدد **12** (مجلة تصدر عن جامعة آزاد الإسلامية – بيشوا إيران)

رابعا: مواقع الكترونية:

[19] أبو القاسم رادفر: السخرية؛ لغتها، أشكالها، ودوافعها، (جامعة آزاد الإسلامية جيرفت) مقال منشور على موقع ديوان العرب (http://www.diwanalarab.com) بتاريخ : **2011/01/29** على الساعة : **19:11**.

[20] رضا محمد جبران: آليات الخطاب النقدي في شعر أحمد مطر، مقال منشور بتاريخ: **2013/08/06** على الساعة **23:16** ، عنوان الموقع (https://pulpit.alwatanvoice.com)

[21] أمسية شعرية لأحمد مطر ألقاها سنة **1988م** مسجلة على المواقع المختلفة يمكن الاطلاع عليها على اليوتوب على العنوان التالي: (https://www.youtube.com/watch?v=_lUcn0wDmyI)